الأحوال العامة للأندلسيين في غرناطة بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي
دراسة تاريخية

أ.د. وجدان فريق عناد
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

الملخص :
إن المعاناة الإنسانية القاسية التي عاشها الأندلسيون كانت صراعاً دينياً وعنصرياً أثر على كل جوانب الحياة العامة. وكان العامل الديني أهم العوامل التي حددت طبيعة العلاقة العدائية بين الأندلسيين والقشتاليين، فقد سعت قشتالة إلى جعلهم مسيحيين بالقوة من خلال القوانين التي حرمتهم من كافة حقوقهم. وعلى الرغم من كثرة تلك القوانين، فإن السلطة اعترفت بالعجز عن إخضاع الأندلسيين إلى إرادتها من خلال إصدار مرسوم الطرد النهائي.
ناقش البحث : تسمية الأندلسيين بالموريسكيين، ومعاهدة استسلام غرناطة، والحياة العامة للأندلسيين بعد سقوط غرناطة، من خلال دراسة الحياة الدينية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والسياسية .

المقدمة :
لايمكن الكتابة عن "الأحوال العامة للأندلسيين في غرناطة بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي دراسة تاريخية" دون أن تمتلئ الروح الإنسانية بإحساس الألم من المعاناة القاسية التي عاشها الأندلسيون بعد انتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة . فقد كان الاضطهاد والتعذيب الوحشي باسم الدين والحرق والعقوبات الاقتصادية والسجن والعبودية والعمل مدى الحياة والطرد هو المصير المحتوم لهم، عاشوا مراقبيين معرضين للاعتقال في كل زمان ومكان، ولم يكن لهم حق الاعتراض والدفاع عن أنفسهم، فأي تهمة ووشاية كاذبة من شخص واحد تكفي لمثول الأندلسي أمام محاكم التفتيش التي تصدر أحكامها القاسية التي يجب أن تنفذ خلال خمسة أيام، دون أن يكون للمتهم حق الاستئناف، حتى يمكننا القول أن مأساة الأندلسيين كانت تجربة إنسانية تستحق الدراسة والعناية من الباحثين لكونها تحمل معاني وعبر، لو استوعبت في الحاضر فستكون جسر يوصل البشرية إلى ساحل الأمان بعيداً عن الحرب والدمار الذي يقود إلى الفناء .

قسمت الدراسة على عدة مباحث هي :-

أولاً : تسمية الأندلسيين بالموريسكيين، وفيه نتطرق إلى التسميات التي أطلقت على الأندلسيين بعد إستسلام غرناطة، وما التسمية الأصح تاريخياً .

ثانياً : إستسلام غرناطة

ثالثاً : الحياة الدينية، وتناولنا فيه حياة الأندلسيين الدينية في ظل السلطة الحاكمة المسيحية والمتعصبة للكثلكة، إذ كان العامل الديني هو الفيصل الذي تحكم بطبيعة العلاقة بين الأندلسيين والقشتاليين، فقد سعت قشتالة إلى جعلهم مسيحيين من خلال المراسيم والقوانين التي أصدرت آنذاك .

رابعاً : الحياة الاقتصادية، فقد كان الأندلسيون يملكون مفاتيح الحياة الاقتصادية، فالأندلسي يملك الخبرة والمهارة والرغبة في العمل والمال، لذلك كان العامل الاقتصادي الرديف للعامل الديني في تحديد ملامح العلاقة بين المسحيين والأندلسيين .

خامساً : الحياة الاجتماعية، بحثنا في التغيرات التي طرأت على حياة الأندلسيين الاجتماعية بعد انتهاء الحكم الإسلامي، وما فرضته عليهم القوانين الملكية الصادرة من أوامر تتعلق بالأسماء والملابس والطعام والزينة ومراسيم الزواج والولادة والموت .

سادساً : الحياة الثقافية، فقد أنعكست التغيرات التي أصابت الحياة العامة للأندلسيين بعد انتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة على النتاج الثقافي، الذي كان مرآة يمكن من خلالها الوصول إلى العديد من الحقائق التاريخية عن تلك الحقبة الزمنية .

سابعاً : الحياة السياسية، لقد جرت العادة أن يتقدم العامل السياسي جميع العوامل السابقة، إلا إننا نرى إنه في موضوعنا أصبح نتيجة وليس سبباً، فكانت الحياة السياسية مرآة لحياة الأندلسيين العامة بعد إستسلام غرناطة، فإعلان الانتفاضات والثورات كان للمطالبة بحقوقهم الطبيعية الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

أولاً : تسمية الأندلسيين بالموريسكيين

أطلق على الأندلسيين الذين أصبحوا تحت الحكم الاسباني المسيحي تسميات عديدة من أهمها: مورو (moro) والتي تعني المحارب أو الغريب (futues de moros) أو(terra de moros) [1]. وكذلك تعني العرب المغاربة أو الأفارقة (moro)، والمدجنين (mudejares)، والمهجَرين (hagarans)، والمحمديين (muhammadans)، والسراسينو (sarraceno) المحرفة عن الصحراوي المقصود منها عرب الصحراء (sahara) .

أما التسمية بالمدجّنين أو أهل الدجن فقد ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي عندما اختارت أعداد كبيرة من الأندلسيين البقاء في مدنهم وعدم الرحيل بعد احتلالها [2]، فأطلق عليهم ذلك الاسم والذي يحمل معنى الاستصغار، لأنهم لم يرحلوا عن المدن التي أصبحت تحت حكم الإسبان[3].

كما وجد في رسائل الاستيطان (Carta de Poblation) وفي عادات طرطوزا (costums de Tortosa) [4]، وصف الأندلسيين بكلمة (Sarrai) والتي تعني المسلم الذي اندمج مع المجموعة بالمحافظة على تقاليدها ودينها، كما استعمل مصطلح (exarics vells) بمعنى العبد أو القن [5].

أما عن تسمية الاندلسيين بصفات الحيوانات، فكان من باب الشتائم والتحقير، فقد كان المسيحيون يعدّون الأندلسيين نصارى جدد، وهم موضع شك وريبة، وكان ينعتونهم ويصفونهم بالحيونات مثل البغل أو الدجاجة أو النحلة، ولأنهم يلدون كثيراً كانوا يصفونهم بالنمل والأرانب والفئران، فضلا عن صفات آخرى مثل لصوص الغربان، وماكرون كالثعالب، وكانوا يشبهون صوت الآذان بصوت عواء الذئاب، ومن ينطق بالعربية بصوت الخفافيش، وكانوا يطلقون على الأندلسيين سكان المدينة كركدن، عنكبوت، عقرب، أما الأندلسيون الذين يسكنون البدو، فكانوا يصفونهم بالحيوان الخطير مثل النمر وابن آوى، لكن الشتيمة المتداولة والموجهة لكل إنسان له علاقة بالإسلام هي كلب ثرفانتس (cervantes)[6] . أما في بلنسية فقد كان يطلق على الاندلسيين تسمية " أمة المسيحيين الجدد من الأندلسيين في مملكة غرناطة" [7].

إلا إن الاسم الأكثر شهرة هو الموريسكيين، والذي يعني النصارى الجدد أو النصارى الصغار[8]. والذي استعمل بشكل رسمي في المراسيم الملكية التي صدرت في القرن السادس عشر الميلادي [9] متمثلاً بالأمة الموريسكية أو الموريسكيون (moriscos) . ويبدو واضحاً القصد السياسي من تلك التسمية، وهو التمييز بين الأندلسيين قبل وبعد سقوط غرناطة، من أجل سلبهم حقوقهم في الملكية والعقيدة، ويتحمل المؤرخون المسؤولية التاريخية في استمرارها، ولاسيما العرب الذين استعملوا التسمية نقلا عن مؤرخي الغرب والمستشرقين دون الانتباه لمغزاها السياسي الذي يحمل في طياته الفصل بين الأندلسيين الذين ظلوا تحت حكم الأسبان المسحيين، وبين أجدادهم المسلمين [10].

إن الباحث في التاريخ يتحمل أمانة علمية كبيرة، لأنه يتحمل وزر المعلومات التي يكتبها، فقد يسلب حق أو يعطي بعض الحقوق إلى غير أهلها، لذلك لابد من التحري والدراسة من أجل الاقتراب من الحقيقة، فموضوع تسمية الاندلسيين الذين ظلوا تحت الحكم الأسباني المسيحي بالموريسكيين يتطلب البحث والدراسة في المعنى والمضمون فضلاً عن البعد التاريخي للمصطلح.

لذلك نرى أن تلك التسمية فيها خطأ تاريخي لابد من تصحيحه، من خلال الابتعاد عنها في الكتابات التاريخية عن تلك الحقبة، لأن الإصرار على استخدامها، ولاسيما في الدراسات والأبحاث العلمية، يعني الاعتراف بالقصد السياسي الذي من أجله أطلقت تلك التسمية على المسلمين الذين تنصروا شكلياً بعد صدور المراسيم التي تجبرهم على ذلك، والدليل التاريخي على أن استعمال هذه التسمية فيه خطأ، هو أن معظم الأندلسيين بقوا مسلمين حتى النهاية حتى وأن تظاهروا بقبول التنصير الإجباري، وكانت السلطة الحاكمة تعلم بذلك لهذا صدرت المراسيم بطردهم ونفيهم خارج بلادهم في عهد حكم فيليب الثالث [11].

فضلاً عن أن الأندلسيين الذين هاجروا أو ظلوا في الأندلس، لم يستعملوا تسمية الموريسكيين، بل كانوا يقولون أندلس بدون ياء النسب، أو أهل الأندلس، أو غرناطيين، أو أهل غرناطة، كما في الوثائق التي عثر عليها باللغة العربية أو الألخميادية، وكتابات الأندلسيين المهاجرين ومنهم الحسن الوزان، وأحمد بن قاسم الحجري، ومحمد بن رفيع المرسي، وإبراهيم غانم الرباش وغيرهم [12].

لذلك يجب على المؤرخين المنصفين إثبات حقوق الأندلسيين التاريخية المسلوبة بعد استسلام غرناطة، ابتداء من وصفهم بالاسم الأصح تاريخياً، وهو الأندلسيين، والذي يعني تثبيت تلك الحقوق والاعتراف بها .

ثانياً: إستسلام غرناطة

بدأ الإنحسار الإسلامي في الأندلس منذ سقوط الدولة الأموية وظهور دويلات الطوائف، إذ لم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم وبقوا متنازعين متناحرين فيما بينهم، مع تزايد الخطر النصراني ضدهم، ويمكن عدّ سقوط طليطلة في عام 478هـ / 1085م البداية لسقوط غرناطة فيما بعد في عام 897هـ / 1492م [13] .

وعند الحديث عن الأسباب التي أدت إلى سقوط غرناطة، لابد من ذكر الانقسامات بين حكامها وخلافاتهم الأسرية، فضلاً عن تخاذل القوى الحاكمة في العالم الإسلامي عن نصرة غرناطة، فكان سقوطها نتيجة طبيعية للظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت بالمملكة [14]. فبعد سيطرة الإسبان على المناطق المحيطة بغرناطة بدأ حصار المدينة في 12 جمادى الثاني 896هـ / 23 نيسان 1491م الذي استمر سبعة أشهر، حيث عسكر الجيش على ضفاف نهر شنيل على بعد مسافة تقدر بفرسخين من المدينة، وبدأ الجيش بإتلاف المزارع وتخريب القرى والقلاع والحصون، ولجأ سكان تلك الأماكن إلى الاحتماء بسور غرناطة، ومن حجارة تلك القرى والحصون والقلاع بنى الملكان الكاثوليكيان مدينة عسكرية سميت سنتفى (santafe) ومعناه الإيمان المقدس أو العناية المقدسة، وكان بناء تلك المدينة إشارة إلى أن الحصار

سيطول ولابد من مدينة تحمي الجيش من برد الشتاء، فضلاً عن التأثير النفسي على سكان غرناطة، لأنه يعكس إصرار الملكان الكاثوليكيان على استئصال الوجود الإسلامي بشكل نهائي [15].

جرت خلال ذلك معارك بين فرسان غرناطة الذين يرون أن الموت أفضل من الاستسلام فكانت لهم جولات قتالية مشرفة مع جيش النصارى، فكانوا يخرجون من المدينة المحاصرة ويشتبكون مع العدو، وقدموا صورة من الشجاعة والإقدام، حتى أن المصادر النصرانية أشارت إلى بطولتهم، إلا أن ذلك لم ينفع، فتم تشديد الحصار، فضلاً عن حلول فصل الشتاء، وانقطاع الطرقات ونقص المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار، فضعفت قدرة المدينة على الصمود، فضلاً عن فقدانها العديد من فرسانها الذين دافعوا عنها، وأمام تفاقم الأوضاع بدأت الحالة تسوء، وفوض السلطان الأمر إلى أعيان غرناطة واتفقوا على مفاوضة الملكين الكاثوليكين لتسليم المدينة، وفاوض عنهم الوزير أبي القاسم بن عبد الملك، وكان ذلك في ذي الحجة 896هـ / تشرين الأول 1491م، فبدأ السعي من خلال المفاوضات إلى عقد هدنة بين السلطان أبي عبد الله الصغير والملكين الكاثوليكين في 21 محرم 897هـ/ 25 تشرين الثاني 1491م، تضمنت (67) بنداً وفق المصادر العربية، و(56) بنداً وفق المصادر القشتالية، تعهد فيها الملكان واقسما بدينهما على الالتزام ببنود المعاهدة التي تحفظ حياة المسلمين ودينهم وأرزاقهم وعدم الاعتداء عليهم، واتفقوا أن يصادق البابا على كل الشروط[16] .

إن نظرة سريعة على المعاهدة تمكننا من القول إنها تبدو من وجهة نظر الغرناطيين من أفضل المعاهدات التي يمكن الوصول إليها في أوقات الحرب، فحقوقهم الأساسية مضمونة ـ أما فيما يتعلق بحقوق القشتاليين فلا نكاد نجدها في المعاهدة، لذلك كانت من وجهة نظر الغرناطيين "وثيقة للحكم الذاتي وتبدو هذه المعاهدة وثيقة غرناطية صرفة"[17]، وربما كان ذلك لأن معاهدة التسليم فتحت للملكين الكاثوليكيين أبواب غرناطة سلماً، وخلصتهم من نفقات الحرب، فقد قدرت تلك النفقات لمدة 11 سنة 800 مليون مرابطي، وإن سقوط مدينة حصينة مثل غرناطة كان صعب جداً، فطليطلة الأصغر من غرناطة استمر حصارها سبع سنين، فكانت المعاهدة المفتاح السحري للتمكن من مملكة غرناطة، وبتكلفة قليلة جداً، كما إن المعاهدة جعلت ايزابيلا وفرناندو يقدمان للكاثوليكية أهم انتصار على الإسلام، لذلك أطلق البابا عليهما سنة 1494م لقب الملكيين الكاثوليكيين[18] .

ولابد من القول إن سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين بعد ذلك يعد وصمة عار في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، لأن معاهدة التسليم لغرناطة معاهدة

دولية نالت موافقة البابا في روما وهو يمثل أعلى سلطة دينية، كما إن الملكان الكاثوليكيان يتعهدان في معاهدة التسليم التي تحمل توقيعهما " أن ملكي قشتالة يؤكدان ويضمنان بدينهما وشرفهما الملكي القيام بكل ما يحتويه هذا العهد من النصوص، ويوقعانه باسميهما ويمهرانه بخاتميهما "[19] ، وفي سنة 898هـ/ 1492م كرر الملكان التعهد بالالتزم ببنود المعاهدة، حيث يأمران ولدهما الأمير وسائر الأعيان والنبلاء بالمحافظة على بنود المعاهدة، فلا ينقص منه شيء ولا يعمل ضد ما جاء فيها، إلا أن ما حصل على أرض الواقع كان نقض واضح وصريح لكل التعهدات التي ضمنتها معاهدة التسليم [20]. إن التعصب والكراهية للعرب والمسلمين جعلتهما يتبعان سياسة القمع والاضطهاد لمسلمي غرناطة وإجبارهم على التنصير، فكانوا تحت المراقبة، فهم في موضع شك وريبة بشكل دائم [21].

وقسم المؤرخون تاريخ مسلمي غرناطة بعد السقوط على ثلاث مراحل هي :

ا- المرحلة الاولى: وكانت تحت حكم الملكين الكاثوليكيين[22].

2- المرحلة الثانية: مرحلة الملكين شارل الخامس وفيليب الثاني[23].

3-المرحلة الثالثة: مرحلة الملك فيليب الثالث، وفيها كان قرار الطرد النهائي [24].

ثالثاً:- الحياة الدينية للأندلسيين بعد إنتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة

من خلال التمعن في بنود معاهدة التسليم يبدو بشكل واضح أن حقوق الغرناطيين محفوظة ومصانة ومنها الحقوق الدينية . لكن المتتبع للسياسة الإسبانية في تلك الحقبة يجد بشكل واضح أنها تسير من قبل رجال الدين الذين كانوا منقسمين في رؤيتهم في أسلوب التعامل مع الأندلسيين إلى مجموعتين، الأولى يمثلها القسيس هرناندث دي طلبيرا ومعه أمين سر الملكة ايزابيلا فرناندو دي زفرة والحاكم العسكري لغرناطة الكونت تندله المنحدر من أسرة مندوزا، وكانوا يدعون إلى المحافظة على الوضع كما هو ودمج الأندلسيين في المجتمع المسيحي الجديد تدريجياً وسلمياً [25]، فقد كان فرناندو دي زفرة يتقن اللغة العربية وعلوم الحضارة الإسلامية وعارف بالعادات والتقاليد وكان يحرص على الظهور كصديق، لأنه يعتقد أنها أفضل أسلوب للتعامل مع الأندلسيين، أما الحاكم العسكري الكونت تندله فكان حريصاً على التعاون مع أهل غرناطة، لأنهم يساهمون في إطعام الجنود وإيوائهم، فضلا عن سعيه الابتعاد عن الدخول في معركة مع سكان غرناطة، لأن معاهدة التسليم سمحت

للغرناطيين الاحتفاظ بأسلحتهم الفردية، أما رئيس اساقفة غرناطة هرناندث دي طلبيرة فكان يعتقد أن كسب مودة الأندلسيين سيكون السبيل لتحويلهم الى الكثلكة لذلك درس اللغة العربية والتاريخ والعادات والتقاليد العربية الإسلامية وأمر جميع القساوسة بفعل الشئ نفسه، وأشرف على ترجمة بعض الكتب الدينية الكاثوليكية إلى اللغة العربية ووضعها في متناول سكان غرناطة، إلا أن النتائج التي تحققت لم تكن كافية لترضي الملكة إيزابيلا الكاثوليكية، فهي لم تتمكن في غضون السبع سنوات التي تلت الانتصار على مملكة غرناطة من تنصير المملكة، فأمرت رئيس أساقفة طليطلة خمينيس بالتوجه إلى غرناطة سنة 1499م ليتولى مهمة تنصير الغرناطيين [26] .

كان القسيس خيمنيس يمثل المجموعة الثانية فهو يؤمن بتطبيق سياسة القوة بشكل سريع ومنظم وأجبار جميع الأندلسيين من أصل عربي ومسلم على أعتناق المسيحية، وبدأ بسرعة بتنفيذ سياسته منذ سنة 1499م [27]، ولاسيما أنه لم يرضى عن نتائج جهود طلبيرا في تنصير سكان مملكة غرناطة، كذلك رفض جهود طلبيرا لترجمة الانجيل إلى اللغة العربية لأنها لغة نجاسة، ولم ينجح طلبيرا والحاكم العسكري تندله بأقناع خيمينس بأعطائه الوقت الكافي ، وإن استعمال القسوة والقوة سوف يؤدي إلى مشاكل وصدامات مع سكان غرناطة، إلا إن خيمينس كان مصصماً على المضي في تنفيذ سياسته ليثبت للملكة إيزابيلا نجاحه في ما فشل فيه طلبيره [28].

بدأ خيمينس بتنفيذ سياسة القمع والعنف من أجل أرغام الاندلسيين على التنصر، وبلغ عدد من تنصر لأول مرة (50) ألف في سنة 1499م، ورغم تنصرهم بقوا في موضع الشك والاتهام المستمر، كذلك أمر بالقبض على عدد من رجال الدين المسلمين وسجنهم، بسبب امتناعهم عن إصدار فتوى تسمح للمسلمين بترك الدين الإسلامي والانتقال إلى الكاثوليكية، كذلك أصدر في سنة 905هـ / 1499م الأوامر إلى الأندلسيين بتسليم ما بحوزتهم من كتب عربية ومصاحف، وجمعها وأحرقها في باب الرملة، حتى قدر عددها البعض (80) ألف كتاب، بينما قدر البعض الاخر العدد بمليون وخمسة آلاف، ثم أصدر أوامر أخرى، منها الإجبار على التنصير وتحويل المسجد الجامع في غرناطة إلى كنيسة باسم سان سلفادور وإجبار الأندلسيات على الزواج من الاسبان المسيحين وإجبار الأندلسيين على الزواج بمسيحيات، إلا إن تلك الإجراءات زادت من حدة التوتر فكانت انتفاضة حي البيازين سنة 905هـ / 1499م، ومن ثم ثورة البشرات في سنة 906هـ/ 1501م ، وكلتاهما فشلتا في تحقيق أهدافها [29].

كان خيمينس يؤمن أن تنفيذ سياسته أمر سهل من خلال الاقناع والرشوة ثم التهديد، ولابد أن تكون البداية من تنصير فقهاء المسلمين، فأمر باستدعائهم إلى كنيسة كانت مسجداً، وبعد مواجهة من الجدل والمناظرة التي تستمر أحيانا معظم النهار ليتوقف ليلا وتستأنف في اليوم التالي، وكان موضوع المناقشة يدور حول أفضلية وتفوق المسيحية على الإسلام، وأن القشتاليين انتصروا لأن الله معهم، ولم ينجح خيمينس في إقناع الفقهاء الذين تأكدوا أنه يمكر للمسلمين [30].

وبعد فشله في إستمالة الفقهاء المسلمين والتأثير عليهم، اتبع أسلوب التواصل المباشر مع عامة الناس، إذ أخذ يستدعيهم ويحاورهم ويرشيهم وإعطائهم الوعود بالثروة والأراضي، فاستهدف السكان الذين كان أحد أجدادهم نصرانيا ثم أسلم، ويحثهم على العودة للمسيحية [31]، إلا أن الفقهاء تصدوا له بالاحتجاج لأن بنود معاهدة التسليم تنص على " وأن لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم، وأن من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى، فإن أبى الرجوع إلى الإسلام تمادى على ما أراد " ، إلا إنه استمر في نهجه حتى قيل إنه أنفق معظم ماله الشخصي على الهدايا والرشوة، فما كان من الفقهاء إلا النزول بين الناس، ليشرحوا لهم مكر خيمينس وغايته الحقيقية، ويطلبوا السكان عدم قبول الهدايا، إلا إن خيمينس أمر جنوده في 18 كانون الاول 1499م بالتوجه إلى حي البيازين وإحضار ما يمكنهم من السكان، فجمعوا له في الكنيسة حوالي 3000 أندلسي وبعد الحوار والمناظرة أعلنهم مسيحيين، فتصدى له الفقهاء محتجين ببنود معاهدة التسليم وعمت غرناطة الفوضى والاحتجاج بصوت عال، فأدرك خيمينس مكانة الفقهاء وأثرهم في منعه من تنفيذ سياسته، فلجأ إلى إستدعائهم وتهديدهم، ثم استدعى إلى الكنيسة شيخ من شيوخ بني زيري وناظره وطلب منه الافتاء بقبول التنصير والدخول في الكاثوليكية، إلا أن الشيخ رفض رغم كل محاولات خيمينس وهداياه، فمنعه من الخروج من الكنيسة وسجنه مع التعذيب ومنع الطعام والشراب عنه، وبعد أيام خرج إلى سكان غرناطة يخبرهم أن شيخهم رأى منام وسمع صوتاً من السماء يأمره بالتنصر وهو يدعو كل المسلمين إلى الاقتداء به والدخول في الدين المسيحي، إلا أن الغرناطيين لم يقتنعوا بقصة خيمينس، فبدأ بسجنهم وتعذيبهم وإجبارهم على التنصر .

كان هدف خيمينس النجاح في تنصير عدد مناسب من الغرناطيين ليثبت للملكة نجاح سياسته، إلا أنه أدرك صعوبة المهمة، لأنه أكتشف أن المسلم يخرج من كنيسته إلى منزله ويقرأ القرآن ليعود بعقيدة أقوى على التمسك بالإسلام ورفض المسيحية، كما تولدت لديه قناعة بضرورة قطع الصلات بين

الاندلسيين وتراثهم وحضارتهم ومنع استعمال اللغة العربية، فأمر جنوده بالطواف في البيازين يأمرون السكان بإخراج ما يملكون من الكتب والتهديد بالعقاب الشديد لمن أخفى كتاب، فجمع أكثر من مليون كتاب، اختار خيمينس من بينها 300 مخطوط بالعلوم المختلفة كالطب والفلك والكيمياء والرياضيات ...الخ [32]، وأضرم النار بما تبقى منها، حتى كانت سحابة كبيرة من الدخان، فأحرق بذلك قسم كبير من التراث الإسلامي والإنساني [33].ثم لجأ من أجل تنفيذ سياسته إلى أتباع أسلوب الاستفزازات والمضايقات للأندلسيين المسلمين، ولاسيما الفقهاء، وكان قصده من وراء ذلك هو أن تصدر من الأندلسيين المسلمين ردة فعل لتكون ذريعة لتنفيذ مخططه[34].فكان الدين عنصر مهم في الحياة العامة بعد سقوط غرناطة ، فخلال السبع سنوات التي تلت تسليم غرناطة، فشلت جميع المحاولات السلمية من أجل تنصير الأندلسيين، لذلك بدأت سلسلة من الانتهاكات لبنود معاهدة التسليم[35] التي ضمنت الحقوق الدينية للأندلسيين، منها على سبيل المثال لا الحصر أنها بدأت بمنع أبناء المسلمين من تلقي تربية إسلامية، فلا يسمح للآباء بختان أبنائهم، ومنعتهم من تعليم أبنائهم لغتهم، وأجبرتهم على تعميدهم وتنشئتهم على مبادئ الكاثوليكية، والحضور الإجباري للقداس، وإجبارهم على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر حتى الثمالة، ومنعهم من الاحتفال بالمناسبات الدينية الإسلامية، وتحويل المساجد إلى كنائس، وأنشئت مفتشية تدقق في الأموال التي كانت بحوزة رجال الدين المسلمين وذلك بين سنة 1505- 1527م، ومصادرة الكتب الدينية، فكانت القسوة والموت ضد من رفض التنصير [36].وفي 12 شباط من سنة 1502 م، أصدرت إيزابيلا مرسوماً يجبر الأندلسيين بين أمرين هما التنصير أو الرحيل، إذ جاء في نص المرسوم الملكي طرد " أعداء الدين المسيحي " من كل أنحاء قشتالة ممن لم يتعمدوا بعد، فلا يبقى ذكر عمره فوق الرابعة عشرة وأنثى تجاوز عمرها الثانية عشرة بعد شهر نيسان، وسمح للأندلسيين ببيع أملاكهم، ومنعهم من أخذ الذهب والفضة والمجوهرات، وقد فشلت جميع محاولات الأندلسيين إلغاء أو تأجيل تنفيذ المرسوم الملكي، فرحل نحو 300.000 أندلسي إلى المغرب والجزائر وتونس ومصر والشام والقسطنطينية [37].

وسار الملوك الذين جاؤا بعد الملكين الكاثوليكين على منهج القسوة ذاته ضد الأندلسيين، فكان كارلوس الخامس أكثر قسوة وحقد وكذلك فيليب الثاني الذي أصدر في سنة 1556 أمرا بمنع الأندلسين من التجول في أنحاء المملكة إلا بأذن من محاكم التفتيش أي الأقامة الجبرية، وصدر أمر أخر في سنة 1559 بتشديد الرقابة على كل أندلسي من أصل مسلم أو متعاطف معهم [38].

ونتيجة لتلك القسوة حاول الأندلسيون الحصول على المساعدة، لذلك لجأوا إلى الفقهاء في المغرب للحصول على رأي فقهي حول إجبارهم على اعتناق المسيحية، وعلى أكل المحرمات، وعدم السماح لهم بممارسة الشعائر الإسلامية، فكانت فتوى الفقيه أحمد الونشريسي[39] لهم بمغادرة الأندلس . بينما فتوى الفقيه أحمد بن جمعة الوهراني [40] التي صدرت في رجب سنة 1504م نصت على أنهم يمكنهم دفع الأذى عندما يكونوا مجبرين على ترك دينهم جهاراً، ويحتفظوا بعقيدتهم في قلوبهم حتى تحين الفرصة للتخلص من العدو، وحثهم على الصبر والمثابرة والنضال وزودهم بالمعلومات الفقهية بعد أن فقدوا كتبهم ومعظم فقهائهم، وكيفية العمل السري، وكانت فتوى الوهراني هي الحل المناسب للأندلسيين، فأصبحوا يطبقون أوامر الكنيسة، محافظين على عقيدتهم سراً، محاولين عدم جلب الانتباه اليهم، ومع ذلك لم يسلموا من التعذيب والتشريد والقتل [41] .

وأمام هذا القهر الديني واستعمال أساليب القوة لجأ الأندلسيون من أجل الحفاظ على دينهم إلى إخفاء إسلامهم، وممارسة الشعائر الإسلامية بسرية تامة، مع السعي الحثيث إلى التظاهر بالاندماج مع المجتمع حولهم تجنباً لإدانتهم من قبل محاكم التفتيش، إلا إنهم ظلوا يعيشون بشكل متميز، ومن أهم الجوانب التي تميز بها الأندلسيين[42] :-

التميز الديني:- فهم عند السلطات الحاكمة من أصول إسلامية ويستحيل عدّهم مسيحيين مخلصين على الرغم من تعميدهم وإجبارهم على اعتناق المسيحية .

التميز اللغوي:- فالأندلسيين أجبروا على ترك استخدام لغتهم العربية، فأخذوا يتحدثون باللغة الرومانسية، التي تعد لغة خاصة بهم، فكانوا يكتبونها بحروف خاصة بهم، وينطقونها بشكل مختلف.

التميز في الصفات:- فالأندلسيين لهم خصائص انثروبولوجية خاصة بهم، فضلاً عن الصفات الجسمية مثل لون الشعر والبشرة ... الخ.

التميز في العادات والتقاليد:- فالأندلسيين متميزون بالملابس – لاسيما النساء -، والمأكل والمشرب ومراسيم المناسبات الاجتماعية المختلفة من الزواج والعزاء، فضلاً عن نوعية العمل الاجتماعي .

إن الأندلسيين بعد سقوط غرناطة وإصدار القوانين التي تحرم عليهم البقاء على دينهم وإجبارهم على اعتناق المسحية، ظلوا متمسكين بهويتهم الإسلامية ولهم تميزهم الواضح عن المجتمع حولهم، لذلك ومع كل محاولات التظاهر باعتناق المسيحية، إلا أن تمسكهم سراً بدينهم، جعل منهم كيان متميز بالمظهر والطباع والعادات والتقاليد والملابس والأكل وطريقة العمل ونوعيته،

فكان من السهل التعرف عليهم، وقد كلفهم ذلك التضحيات الكثيرة والصبر، فقد كانوا حريصين على تطبيق مبادئ الإسلام بكل السبل المتاحة أمامهم، حتى يمكننا القول أنهم في وقت المحنة واللحظات الصعبة أثبتوا أنهم كانوا أشد تمسكا والتزاماً بتعاليم الإسلام من المجتمعات الإسلامية المعاصرة لهم آنذاك [43]. فهم " كانوا لا يقربون لحم الخنزير، ولا يشربون الخمر، وكانوا يأكلون لحوم الضأن، ويمتنعون عن الأكل من أي حيوان ذبح إلى اتجاه غير اتجاه القبلة أو ذبح على غير شريعتهم ... كانوا لا يقبلون مبدأ الأعتراف الكنسي بالذنب القاتل، وكانوا لا يذهبون إلى القداس إلا مضطرين، ولا يقيمونه على موتاهم ولا يقبلون حضور المطهر في جنائزهم ... وعلى العكس من ذلك فقد كانوا يحافظون على وضوئهم وعلى طهارتهم وسائر شعائر دينهم وكانوا يرتدون الزي الإسلامي ويتحدثون اللغة العربية "[44]. و" كم كانت سعادتهم وسرورهم عندما يدعون بأسماهم العربية ... لم ير واحد منهم يتناول الدم أو يأكل من حيوان غريق أو منخنق إذا وجده قد مات ولا من حيوان قتله حيوان آخر.. بل إنهم كانوا لا يذوقون لحم طير مات في فخ، ولا حتى لحم الأرنب الذي قتله سلوقي "[45] .

ومن خلال أدب الألخميادو نجد نصوصاً تبين كيف طبق الأندلسيون تعاليم الدين الإسلامي بروح مؤمنة، فكانوا حريصين على الإلتزام بالعبادات اليومية، ومنها الصلاة، وكيف يوصي أحدهم الآخر بضرورة المحافظة عليها، " يجب على العبد أن يحافظ على صلواته، حتى يمحو الله ذنوبه ويكفر سيئاته"[46] .

أما الصيام فكان لقدوم شهر رمضان فرحة مميزة، ومن خلال هذا الشهر استطاعت محاكم التفتيش أن تحاكم العديد من الأندلسيين، لأنهم كانوا يتمسكون بالصوم، فكانت تهمة الصوم أحد أبرز التهم التي وجهت إلى الأندلسيين إلى جانب الصلاة والطهارة، فكانوا يستعدون لقدوم شهر رمضان ويفرحون به، ويوصي بعضهم البعض بالصوم والعبادة[47]. ليس ذلك فقط بل كانوا حريصين على صيام الأيام المستحب فيها الصيام لأجرها الكبير، منها صيام الأيام البيض، ويوم عاشوراء، وليلة النصف من شعبان، ويوم عرفة [48].

ولأنهم غير قادرين على أداء فريضة الحج، كان الأندلسي يوصي إبنه بأدائها نيابة عنه، فيوصي الابن إبنه وهكذا تنتقل الوصية من الأجداد والآباء إلى الأبناء[49]، وتمكن أحد أحفاد الأندلسيين من الحج في عام 1805م أي بعد 200 سنة، وتمكن الأندلسي المسمى بدية من الحج سنة 1807م، ويعد الحاج بوي مونسون من أشهر الحجاج الاندلسيين ونظم مجموعة من القصائد الرباعية [50].

كان الأندلسيون يؤدون هذه العبادات والشعائر والتعاليم التي أقرها الإسلام، وكانوا حريصين على الاستمرار بذكر الله في جميع الأحوال، والحث على العمل الصالح والتفكير في الآخرة، وكانوا يخشون على أنفسهم أن يموتوا على غير التوبة، لأنها الوسيلة للفوز برضى الله، كانوا متمسكين بالأخلاق والسنن النبوية في السلوكيات العامة لحياتهم اليومية، على سبيل المثال لا الحصر : ذكر البسملة في أول الطعام والأكل باليد اليمنى، وأن تكون النية من الطعام الاستعانة على طاعة الله والحفاظ على الحياة، والحمد لله عند الشرب، والقناعة بالمتوفر من الطعام، وعدم التقليل من قيمته أو تحقيره أو تعييبه، والابتعاد عن الأكل بتكبر أو خيلاء، وأن تكون اللقمة صغيرة، وغيرها [51].

لقد كان الأندلسيون مجبورين على التظاهر بالتنصر، وهم في الحقيقة يخفون الإسلام ويسخرون ويستهزؤون من أساليبهم، حتى وصف أحد رجال الدين المسيحي المطران جيريرو حالهم بقوله: " إنهم خضعوا في الظاهر للتنصير ولكنهم لبثوا كفرة في سرائهم، وهم يذهبون إلى القداس تفاديا للعقاب، ويعملون خفية في أيام الأعياد، ويحتفلون بيوم الجمعة أفضل من يوم الأحد، ويستحمون حتى في شهر ديسمبر، ويقيمون الصلاة خفية، ويقدمون أولادهم للتعميد خضوعا للقانون، ثم يغسلونهم في البيوت لمحو آثار التنصير ويجرون ختانهم، ويطلقون عليهم أسماء عربية، وتذهب عرائسهم للكنائس في ثياب أوربية ، فإذا عُدّنَ إلى المنزل استبدلنها بثياب عربية، واحتفل بالزواج طبقا للمراسم الإسلامية"[52] .

كان أدب الالخميادو أحد أهم رموز تمسك الأندلسيين بدينهم، فمن خلاله عبروا عن المحن التي كان يتعرضون لها والتعذيب والقتل والتشريد وسلب الحريات والحقوق على يد محاكم التفتيش، فقد وجد نص من أدب الالخميادو جاء فيه :" عندما كتبت هذه الصفحات لم تكن هناك حرية في اسبانيا بسبب ما كان يفرض على مسلمي هذه البلاد من تضيق شديد، ولذلك فإننا نسأل الله العظيم بكرمه ورحمته الواسعة وبالجاه والشرف الذي حباه لرسوله ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم أن يرسل على المسلمين في هذه الأرض رحمة واسعة، وأن يعدهم بقوة من عنده يستعينون بها على ذكر الله وتسبيحه ورفع اسم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الصوامع والمساجد وسائر الأرجاء ... "، و"نسأل الله الا يقدر لهؤلاء المسلمين الفقراء المذنبين والذين قصدوا بابه متضرعين، وبوحدانيته يؤمنون أن يشردوا أكثر مما شردوا، أو يعذبوا أكثر مما عذبوا، وألا يضيق عليهم من هؤلاء الجبابرة الذين هم حزب الشيطان الذين يشركون بربهم ويكفرون به .. كما نسأله برحمته الواسعه أن ينظر بعين رضاه إلى هؤلاء المساكين الغرباء الذين يتضرعون لجنابه طالبين الغوث والنجاة،

ونسأله كذلك أن يصب غضبه وعذابه على أعدائنا الطواغيت، وأن ينتقم منهم شر انتقام في الدنيا والاخرة"[53] . و"ما أشد ألمنا وحزننا وبكاءنا على هؤلاء المسلمين الأبرار الذين استشهدوا في سبيل عقيدتهم، والذين ذاقوا ألوان التعذيب من سجن وتشريد، ونسأل الله ألا يسمح للمسلمين في هذا البلد أن يذوقوا من العذاب أكثر مما ذاقوا، وألا يفقدوا أكثر مما فقدوا بسبب ضعف عقيدتهم وقله إيمانهم، كما نسأله أن يورث الأرض لعباده المسلمين الصالحين كما وعد من قبل، إنه لا يخلف الميعاد" [54] .

ومن ذلك يبدو بشكل واضح أن الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ورغم ظروفهم الصعبة حيث حملات التنصير الإجباري والتشريد والتضييق والحرمان، ورغم القوانين الجائرة التي سلبتهم حقوقهم الدينية، ظلوا متمسكين بشخصيتهم الدينية من خلال حرصهم على الالتزام بأركان ومبادئ الدين الإسلامي والمحافظة على الشعائر الإسلامية، وذلك بتدوينها باللغة الالخميادو، فكانوا رغم تظاهرهم بالقبول بالتنصير يشكلون كيان مميز له معالم واضحة، ومن خلال هذا التميز كان من السهل على محاكم التفتيش اكتشاف حقيقة إيمانهم، فتعرضوا بسبب ذلك إلى أقسى أنواع العذاب والحكم عليهم بالموت، لأنهم لا يزالون مسلمين .

كانت محاكم التفتيش تعتمد على الأولاد عندما يأخذونهم ويستدرجونهم ليصرحوا بما كان يجري في بيوتهم، فضلاً عن استعمال الجواسيس والعملاء من أجل الوشاية وألصاق التهم والعمل على مضايقة واستفزاز الأندلسيين المسلمين، حتى إذا انفعل أحدهم ونطق بمكانته أو انحداره من عائلة شريفة، فإن ذلك يؤول على أنه شتم للمسيحيين وازدراء للكنيسة والمشرفين عليها، وعندئذ تستحوذ الكنيسة عن طريق محاكم التفتيش على أملاكهم، وتصدر بحقهم الأحكام القاسية منها التجذيف في السفن مدى الحياة، وعقوبة بعد التوبة وهي الطواف بالمتهم بالمدينة حتى يتعرف عليه كل سكان المدينة، مع الشتم والإهانة، ومنها الكفرة وماومساو نسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (moros y marranos)، ومن تلك التهم أن الذي يأخذ الماء من عين بنيت في العهود الإسلامية يتهم بالكفر، والذي يغسل ويغير ملابسه ويقص شعره وأظافره يومي الخميس والجمعة يعدّ كافراً، فضلاً عن الابتسامة أثناء القداس أو عندما يمر رجل دين لأن ذلك معناه الاستخفاف بالمسيحية ورجالها، وكان الجيران يترصدون كل ما يفعلون، فإذا سقط إناء من يد أحد الأندلسيين أو تعرض إلى الانزلاق فذكر كلمة إسلامية أو ذكر اسم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ مكبل بالحديد إلى محاكم التفتيش، وكذلك إجبارهم على تعليق

لحم الخنزير أمام منازلهم، وجعل باب المرحاض على شكل باب المسجد ويكتب عليه مسجد (mezquita) [55].

ونتيجة لذلك أصبح التعايش بينهم مستحيلاً، فالمسيحيين يؤيدون توحيد اسبانيا دينياً، والأندلسيين يصمدون بطرق خفية محاولين المحافظة على دينهم [56]. ولعب الفقيه دور أساس في ذلك الصمود، فكان عنصر أساس في ربط المجتمع الأندلسي وصموده، لأن واجباته لم تقتصر على الجانب الديني، بل شمل الجوانب الأخرى الاجتماعية والإنسانية، ويجب على الأندلسي التعلم في المدارس السرية ليكون فقيهاً، ويكون إمام في المساجد السرية التي كانت موجودة، ولاسيما في الساحل الشرقي وغرناطة وقشتالة، فهو المسؤول عن جمع التبرعات والزكاة وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، وإقامة حلقات قراءة القرآن وعقود الزواج، والإفتاء في المشاكل التي تواجه الحياة العامة للأندلسيين، وكان له أثره في منحهم القوة المعنوية والنفسية للصمود أمام الاضطهاد، ومنحهم الأمل بالإنتصار، وحثهم على التمسك بالفرائض الإسلامية وتعليمها لأولادهم كونه جزء من المقاومة، وكان يحرص على عقد اجتماعات ولقاءات بين الأندلسيين في بيته أو في بيت أحد الأندلسيين، من أجل قراءة القرآن والحديث وقصص الأنبياء والصالحين وتاريخ الأندلس، وقد عرفت السلطة ومحاكم التفتيش أثر الفقهاء في المجتمع الأندلسي فكانوا يلاحقونهم، وكان الاجتماع مع الفقيه أو زيارته أو استقباله جريمة كبرى، لذك كان الفقهاء يحريصون على تجنب إثارة الشكوك حولهم، ولكن محاكم التفتيش تمكنت من القبض على بعضهم وتعرضوا للتعذيب، فقد ألقي القبض على فقيه في بلدة أسكون من مناطق قطالونيا كان يقرأ القرآن لجماعة من الأندلسيين، فحمل إلى مقر محكمة التفتيش ولم يخرج منها أبداً [57].

كذلك ديافو دي اركوس الذي اعتقلته محاكم التفتيش وأعدم، فقد كان يعقد جلسات لتفسير الآيات القرآنية، وينصح الأندلسيين على أخفاء دينهم وهويتهم، وعدم الاعتراف لمحاكم التفتيش مهما بلغت قسوة الأساليب المستعملة لانتزاع الاعترافات منهم، وكان هو الحامي لجماعات تروال التي بقيت في اسبانيا حتى سنة 1582م، والتي تمتعت بتنظيم داخلي ممتاز، وكان الفقيه يرأس هذه الجماعة، وهو يمثل القوة الدينية، وله دور الوزير، ويمثل رجل القانون والثقافة، وكانت جماعات أخرى تعمل على تقوية التعارف والإخاء الديني بين الأندلسيين، ومنذ عام 1525م كان لها دوراً سياسياً مهماً في التفاوض مع السلطة المسيحية لحماية الأقلية الأندلسية في منطقة بلنسية [58].

وربما من الضروري الحديث عن بعض الأساليب التي اتبعت في حملات التنصير، منها إنشاء المدارس، فقد أسس فيليب الثاني المدارس من

أجل تعليم أبناء المسيحيين الجدد، فعلى سبيل المثال في منطقة طرطوزا توجد مدرستان هما: (Colegio de Los Domminicos de Tortosa) و(Colegio Real) [59] ، ولم تعطي نتائج مشجعة، لأن معتنقوا الدين المسيحي من الأندلسيين وجدوا أنفسهم في مجتمع يقف ضد الحضور الأندلسي، ويحمل تغييرات عميقة تتعلق بالتقاليد، فضلاً عن مهاجمة المسيحيين للدين الإسلامي مما أثار سخط المسلمين، لأن تفسير المسيحيين للإسلام يتضح من خلال نصوص مكتوبة طعنت بالإسلام، وأبرزت قيمة الديانة المسيحية، ومن ذلك كتابين منسوبين إلى (Perez Mastín de Ayala) وكان الغرض من تأليفهما هو تعليم الدين المسيحي للمعتنقين الجدد من الأندلسيين وهما :-

1- المذهب المسيحي باللغة العربية والإسبانية:- وفيه حاول المؤلف توجيه نقد للدين الإسلامي وأعطاء صورة سلبية عنه، وكان ذلك النقد يحمل بشكل واضح الحقد والبغض، ومن نصوصه يبدو التهكم على الدين الإسلامي . كما جاء فيه ترجمة للصلاة وبعض شعائر الدين المسيحي باللغة اللاتينية . وكانت ترجمة سطحية في المضمون والمعنى، فضلاً عن الأخطاء اللغوية، وكان الأندلسيون يجدون أنفسهم أمام اعتقادات لا تتفق مع اعتقاداتهم مثل الشعائر التي تفرضها الكنيسة، لاسيما أن الديانة المسيحية معترف بها في القرآن[60] .
2- الانحراف بالنسبة لمعتنقي المسيحية الجدد :- ويحمل في نصوصه الاتهام للمعتنقين الجدد للديانة المسيحية بالاستناد على تفاصيل الحياة اليومية التي يمكن عدها شاهد على تطبيق الإسلام [61].

ويمكننا القول أن الكنيسة أقامت محاكم التفتيش لتحاكم كل من تمسك بدينه، وجعلت من رسالة المسيح دعوة عنصرية ترتكب المآسي وتطارد الأبرياء وتحرق بالنار وتعذب الأطفال، فجعلت الحياة اليومية للأندلسيين صعبة جداً، على الرغم من لجوئهم إلى التقية [62].

ومن الأمثلة على من نال العقوبة من محاكم التفتيش، أنه في سنة 1576م سلم عمال محاكم التفتيش سيدة غرناطية من مدينة لوغرونيو اتهمت بالارتداد عن الكاثوليكية، فكان العقاب أن انتزعوا أطفالها ووزعوا على بيوت المسيحيين القشتاليين، ثم نصبت لها في ساحة المدينة المشنقة، وبعد تنفيذ حكم الإعدام نقلت إلى منصة الحرق وأضرمت في جثتها النيران [63]. كما حملت إلى محاكم التفتيش أندلسية اسمها المسيحي خوانا، وكانت مستعبدة عند أحد القشتاليين في مالقة، لأنها زلت قدمها وقالت " يا محمد" .

ويقدر عدد الذين أحرقتهم محاكم التفتيش (31.912) أندلسي وأندلسية، كما أحرقت تماثيل رمزية لـ (17.659) أندلسي تمكنوا من الفرار خارج اسبانيا أو الاختفاء، وإن المجموع الأندلسيين المحكوم عليهم من قبل محاكم التفتيش بين حرق وعقوبات يفوق (303.362) أندلسي [64] .

يمكن القول أن الكنيسة القشتالية لم تتمكن من توفير الإمكانيات أو اتباع السياسة السليمة من أجل تحويل الأندلسيين إلى الديانة المسيحية برضى وقناعة، فهي رفضت سعى طلبيرة لترجمة الأنجيل، كما لم تعتني بتوفير رجال دين يتقنون اللغة العربية، بل اتبعت سياسة الترغيب بالمال والوعود، ومن ثم الأرهاب ومصادرة الأراضي والحريات والسجن والتعذيب والحرق، الأمر الذي جاء بنتائج عكسية، فالاضطهاد الديني جعل الأندلسيين يتمسكون بدينهم ومستعدين للموت من أجل عقيدتهم، فنجحوا في بناء شبكة سرية عملت على تعزيز الانتماء الديني وتبادل المعلومات والكتب الدينية، حتى إنهم تمكنوا ممن إدخال بعض القشتاليين إلى الإسلام، أو إعادة الأندلسيين المتنصرين إلى الإسلام[65].

لقد لجأ الأندلسيون من أجل المحافظة على عقيدتهم إلى مبدأ التقية، فكانوا يبررون تنصرهم الظاهري بالقول "الرداء لا يرمز إلى الراهب". كما إن الكثير منهم بعد كل السنوات الطويلة التي فرضت فيها القيود والمراسيم والعقوبات التي صدرت بحق كل من يمارس أي مظهر من المظاهر الإسلامية، ظلوا متمسكين بعقيدتهم سراً، حتى بعد مرور السنين الطويلة، حينما وجد الجيل الثاني والثالث من الأندلسيين أنفسهم غير قادرين على الكتابة باللغة العربية وإن كانوا لا يزالون يستعملونها في التخاطب سراً، لذلك سمح لهم بالصلاة بالقشتالية كي يفهموا معنى الكلام الذي يرددونه، وترجموا القرآن الكريم والحديث النبوي وكتب الفقه كتبوا كل ذلك بلغة الألخيميادو [66].

وهكذا كانت حياة الأندلسيين اليومية محاطة بالتوتر والتعصب الديني، الذي منعهم من ممارسة حقوقهم الدينية، وكانت الوشاية والشك بأن الأندلسي لا يزال مسلماً دليل كافي لإصدار أقسى العقوبات الجسدية والاقتصادية.

لقد كان الدين هو أساس الصراع بين الأندلسيين والقشتاليين، الذي ترك آثاره في كل جوانب الحياة العامة للأندلسيين الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وصل الأمر إلى حد الاحتقان السياسي، فانفجرت الانتفاضات والثورات التي تعني أن العلاقة بينهما وصلت إلى حالة الصدام المسلح، بعد فشل سياسة السلطة القشتالية ومحاكم التفتيش في إقناع الأندلسيين بالقبول الطوعي للكثلكة، بل إن سياستهم جعلت الأندلسيين أكثر أصراراً على التمسك بعقيدتهم الإسلامية، وكانوا يحاولون التظاهر بالتنصير لتفادي العقاب، وفي قرارة

أنفسهم كانوا مسلمين حريصين على أداء الطقوس والشعائر سراً، ونقلها إلى الأبناء، وتعليمهم الاعتزاز بعقيدتهم وقوميتهم .

لقد كان الاسبان يدركون أنهم فشلوا في تنصير الأندلسيين، لأنهم بعد 100 سنة لايزالون " لا يأخذون الماء المقدس إذا دخلوا الكنيسة، ولايرسمون علامة الصليب ... وكنا فرضنا عليهم الخوف، إلا إننا نلاحظ قلة إيمانهم لحظة رفع القربان المقدس، إذ يقطبون جباهم وينزلون رؤوسهم ويحاولون وجوهم بعيداً، ويدفعون أولادهم إلى البكاء ليزيدوا القاعة ضوضاء، بل هناك حادث خارق للعادة تمثل في حمل أحدهم السبحة وهو في الكنيسة "[67] .

رابعاً: الحياة الاقتصادية للأندلسيين بعد إنتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة.

في القرن الثالث عشر الميلادي تمكنت القوى القشتالية من احتلال معظم المدن الأندلسية، ومن ثم كانت النهاية باحتلال غرناطة سنة 1492م، الأمر الذي ترك آثاره على الاقتصاد الذي طرأ عليه تغير بفعل تبعات الإحتلال [68].

لم يكن القشتاليين يملكون الخبرة لإدارة الاقتصاد، فبعد توغلهم في الأراضي الأندلسية خلال القرن الثالث عشر الميلادي واحتلالهم الأراضي لم يعرفوا كيف يديرون الزراعة والتجارة والصناعة، فقد سبب احتلال المدن الكبيرة تدهوراً واضحاً في الاقتصاد، حتى أصبح هَمّ النبلاء المشاركين في الحرب بعد احتلال المدن الأندلسية الحصول على الأرض والاحتفاظ بالمزارعين الأندلسيين، وفي المدن التي نفى عنها الأندلسيين فإن الأرض تحولت إلى خراب، وباعها النبلاء ورحلوا إلى الشمال، واستفاد من خراب الأرض أصحاب الماشية والفرق الدينية والكنيسة، ولكن ذلك التأثر الاقتصادي كان بنسب متفاوتة بين المدن، فعلى سبيل المثال أرغوان بقي فيها عدد كبير من المسلمين المزارعين والصناع المهرة، فلم يتأثر الاقتصاد ويتضرر كثيرا بعد الاحتلال، بل تطور حتى إنها أنفصلت اقتصاديا عن قشتالة، وبنت أسطول تجاري نافس الإيطاليين، حتى القرن الخامس عشر، ومن ثم أصاب اقتصادها التدهور، عندما سيطرت عليها قشتالة، ونفت الأندلسيين في مطلع القرن السابع عشر [69].

أما في مرسية فقد طرد خايمي الأول الأرغوني عدداً كبيراً من المزارعين، مما أدى إلى خراب أراضيها، وفي الوقت الذي نكل خايمي الأول بالمسلمين في الساحل الشرقي، وطرد إعداد كبيرة من الأندلسيين، نجده يسمح لأعداد كبيرة منهم البقاء في أرغون وجزائر البليار، وقدم لهم الحماية على أرواحهم وممتلكاتهم ومساجدهم ومدارسهم الإسلامية وذلك وفقا للاتفاقات بينه وبينهم خلال الحقبة من 1232-1245م، وأستمرت تلك السياسة متبعة من

الملوك الذين تولى الحكم بعد خايمي الأول، وكان السبب وراء ذلك هو أن الأعداد الكبيرة من الأندلسيين الموجودين في تلك البقاع أجبرت الملوك على مرونة التعامل لضمان استمرار النمو الاقتصادي في المجمتع القشتالي والأرغوني الذي لم يكن يجد بديلاً عن الخبرة الزراعية والصناعية للأندلسيين [70].

ومن خلال تغير سياسة السلطة الحاكمة في موقفها إزاء الأندلسيين، يمكننا تلمس دورهم الفعال في الحياة الاقتصادية في البلاد، حتى أن الملكة الكاثوليكية إيزابيلا على الرغم من إصدارها المرسوم الملكي بعد فشل الثورة الأندلسية الأولى في 12 شباط من سنة 1502 م، الذي يجبر الأندلسيين بين أمرين هما التنصير أو الرحيل من كل أنحاء قشتالة، فرحل نحو 300.000-350.000 أندلسي إلى المغرب والجزائر وتونس ومصر والشام والقسطنطينة، إلا أنها في حقيقية الأمر لم تستطيع تنفيذ المرسوم الملكي بصرامة وجدية وتشدد، وكان العامل الاقتصادي أحد الأسباب المهمة وراء ذلك، حتى أن السلطة وضعت عراقيل لمنع سفر الأندلسيين العاملين في أراضي النبلاء، ومنحتهم الوعود بأنهم بعيدين عن العقاب والعقوبات إذا مارسوا شعائرهم الإسلامية سراً، لأن الفراغ الذي تركه رحيل مئات آلاف الأندلسيين على الحياة الاقتصادية كان كبيراً، لاسيما وأن قشتالة تعاني من قلة اليد العاملة، مما سبب الخسائر للنبلاء الذين اشتروا الأراضي الزراعية، واعتمدو على الغرناطيين في إدارتها، لذلك تجنبت التشديد على الغرناطيين لإرضاء النبلاء، ولضمان استمرارهم في إدامة المزارع [71].

وتعهد كارلوس الخامس بعدم التدخل في الشؤون الدينية للأندلسيين، فمنذ القرن الثالث عشر والأندلسيون الأرغونيون لهم حرية نسبية دينية واجتماعية منحتهم الاستقرار والنمو، حتى أن بعضهم نال بعض المناصب، ولاسيما بعد إثباتهم الولاء لأرغون من خلال الدعم الذي قدموه له في الحرب ضد فرنسا، كما أن بعضهم كان يعمل لدى النبلاء الذين قدموا الحماية لهم من أجل مصالحهم الاقتصادية، حتى أن النبلاء كانوا ضد فرناندو عندما حاول إدخال محاكم التفتيش إلى أرغون، ووقفوا ضد توسيع عمل محاكم التفتيش خارج مدينة سرقسطة إلى المناطق التي فيها أعداد كبيرة من الأندلسيين، كما في بلنسية والمدن والأرياف في أرغون[72]، ولما أصر على ذلك خططوا ونفذوا عملية اغتيال المحقق العام بدرو دو أريوس، الأمر الذي شجع سرقسطة على أن تكون مثل بقية المدن الارغونية الأخرى فأقرت عام 1519 م تلك الحقوق للأندلسيين، حتى أصبح عمل محاكم التفتيش هناك ينصب على اليهود المتنصرين، إلا إن كارلوس الخامس تراجع عن سياسته بسبب الحرب مع

فرنسا واعتقاده أنه يمكن حماية وحدة اسبانيا من خلال كتلكة كل سكانها مهما كانت النتائج، لذلك كتب إلى البابا من أجل السماح له بالرجوع عن تعهداته للأرغونيين، تلك التعهدات التي أعطاها عند استلام عرش أرغون بأنه لن يتدخل في الشؤون الدينية للأندلسيين الذين يعيشون هناك، لذلك بعد أن حصل على ما أراد من البابا أطلق يد محاكم التفتيش لتنفيذ سياسته، فبدأت حملة واسعة للقبض على الأندلسيين ومصادرة ممتلكاتهم، ففي برغش الواقعة في قشتالة القديمة حاول وفد من الأندلسيين الحصول على وعد من من المحقق العام بالعطف عليهم من قبل عمال محاكم التفتيش، وفي بلنسية أجبر عدد كبير منهم على قبول التعميد، حتى أنه في 16 تشرين الأول 1525م أجبر الأندلسيين على وضع هلال كبير من قماش أزرق على قبعاتهم للتعريف بأنفسهم، وفي تشرين الثاني صدر قرار أجبر الأندلسيين على الإبلاغ عن الأندلسيين الذين يعودون إلى الإسلام، وفي 8 كانون الأول 1525م صدر مرسوم يؤكد على التشدد في تطبيق الأمر الملكي الصادر عام 1508م، وأضاف إليه محظورات جديدة [73]، فضلا عن التعميد الإجباري لمجموعة كبيرة من الأندلسيين، فقد أصر المرسوم على إجبار الأندلسي على التعميد قسرا قبل 31 كانون الثاني 1526، فثار أهل أرغون بانتفاظة اشترك فيها (26) ألف عائلة أندلسية تقريباً (130) ألف اندلسي، إلا أن كارلوس جهز جيشاً تمكن من القضاء على الانتفاضة، كما تمكن من القضاء سابقاً على انتفاضة أحتمى بعدها الأندلسيين في الجبال [74]، فتشكل وفد من زعماء غرناطة للقاء الملك كارلوس لعرض مطالبهم في إيقاف التضييق والتشدد الذي يمارس ضد الأندلسيين، فشكل الملك كارلوس لجنة للنظر في مطالب الأندلسيين، أوصت تلك اللجنة بتأسيس محكمة للتفتيش في غرناطة والتشدد في تنفيذ الأوامر الملكية الصادرة في سنة 1508 م و1525 م .

ومن أجل التخفيف من الشدة مع الأندلسيين لجأ زعماء غرناطة إلى التفاوض مع مستشاري الملك كارلوس فقدموا الرشاوي إلى السلطات ومحاكم التفتيش، من أجل تخفيف الضغوط عليهم، وتم الاتفاق على تخفيف الضغوط مقابل دفع مبلغ 80.000 دوقة سنوياً، فضلاً عن ضريبة الفرضة ومقدارها 20.000 دوقة سنوياً، فبدأت سياسة كارلوس تتغير، ففي عام 1528م صدر قرار بمنع محاكم التفتيش من التدخل في شؤون الأندلسيين في منطقة مونزون أو منتيشون شمال شرق سرقسطة في الطريق بين لاردة ووشقة، وفي بلنسية في 12 كانون الثاني 1534م أصدر قرار بمنع محاكم التفتيش في بلنسية من مصادرة أي أملاك للأندلسين لمدة 40 عاماً، وفي عام 1535م أصدر قراراً بمنع الحرق للأندلسيين المعمدين، وفي عام 1536م صدر قرار آخر بمنع

محاكم التفتيش في بلنسية وقطالونيا من التدخل في شؤونهم، وكذلك في غرناطة صدر قرار يمنعهم من التدخل في شؤونهم هناك مدة 40 سنة [75]، وسمح لهم بعد ذلك باستخدام اللغة العربية وارتداء الملابس الأندلسية مدة 40 سنة ـ إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً فقد كانوا جزء من الصراع الدولي والديني، فقد كان الأندلسيون يدفعون الضرائب والرشاوي ويظهرون الولاء، إلا أن ذلك لم يكن كافياً، فحروب كارلوس ضد الفرنسيين والعثمانيين والبروتستانت كانت باهضة التكاليف، كما كانت الكنيسة القشتالية بحاجة إلى الأموال للإنفاق على عمالها ومبانيها، فبدأت حملة واسعة لمصادرة ممتلكات الأندلسيين بحجة إنها السبيل للمصالحة بينهم وبين الكنيسة [76] .

كان السبب الاقتصادي يقف وراء سياسة كارلوس الجديدة، فقد حصل على مبالغ نقدية كبيرة، فضلاً عن دفعات أخرى سنوية، والتبرعات للمشاركة في نفقات الحرب ومحاكم التفتيش، فبعد أن ضمت الكنيسة إليها الآلاف من الأندلسيين المعمدين إجبارياً، والذين هم في محل شك من صدق إيمانهم، تعرضت خزانة الدولة وخزانة الممالك المحلية والمجالس البلدية للخسارة بعد أن قلت حصتها من إيرادات محاكم التفتيش، فقد كانت حصة الدولة كبيرة من الأموال والممتلكات التي صادرتها من الأندلسيين، والتي كانت تجبى منهم على شكل كفالات مالية وغرامات وضرائب محلية على الانتاج والارباح والمبيعات وغيرها، فضلاً عن خسارة النبلاء الذين تعرضت مصالحهم الاقتصادية إلى الخسارة من جراء ملاحقة الأندلسيين، حتى أن كارلوس الخامس حاول تعويضهم بأن أعطاهم إيرادات المساجد التي حولت إلى كنائس، ولكن لم ينال ذلك رضى جميع النبلاء [77]، الذين تمكنوا من إفشال قرارات الامبراطور وتجميدها لمدة 40 سنة في معظم أرغون ومملكة غرناطة، فقد كانت الحاجة للأموال لتمويل حروب كارلوس الخامس أكثر أهمية من تعميد الاندلسيين، لذلك سعى لمنحهم الحرية الدينية المحدودة، فتم أبدال العقوبة الجسدية بعقوبة مالية، بلغت خلال الحقبة بين تولي كارلوس العرش وانطلاق الثورة الأندلسية الكبرى عام 1568م حوالي 6.597 بليون مرابطي [78].

ولكن عندما مات كارلوس الخامس ماتت معه الحرية النسبية التي حصلوا عليها، لذلك عندما أمر الملك فيليب الثاني بترحيل الأندلسيين إلى قشتالة حدث تدهور اقتصادي وانخفض عدد السكان إلى حد كبير في غرناطة عام 1569م، فعدد الأندلسيين في غرناطة بعد الثورة الأندلسية الأولى يتراوح بين 200.000- 500.000، وبلغ عدد الذين تغربوا في عهد فيليب الثاني بعد الثورة الأندلسية الكبرى 90.000، يضاف لهم الشهداء في المعارك، وكبار السن والمرضى ممن لم تتمكن السلطة من ترحيلهم من غرناطة والمدن والقرى

الأخرى في الجنوب، وقدر عدد الذين بقوا في غرناطة بعد عمليتا التغريب يتراوح بين 60.000 و 150.000 ، وربما يعلل هذا الرقم مع إصرار السلطة على التخلص من الأندلسيين في الجنوب للحيلولة دون قيام ثوارات أخرى، وجلب 50.000 قشتالي . إن القشتاليين ابتعدوا عن العمل اليدوي فضلا عن الأجر المرتفع ، لذلك سمحت السلطة ببقاء ذلك الرقم من الأندلسيين الذين كان لبقائهم أثر اقتصادي، فلم يبلغ تأثر الاقتصاد في المملكة بعد التغريب إلى مستوى الانهيار، أما في أرغون فقد قدر عدد الأندلسيين في بداية القرن السادس عشر حوالي 235.000 ثم بلغ 400.000، وفي قشتالة قدر العدد 200.000 ووصل إلى 400.000 عام 1569م، ويمكن القول أن العدد يقترب من نصف مليون، لاسيما أن الأندلسيين مشهورين بكثرة الانجاب وقلة الإنفاق، فضلاً عن إضافة 90.000 أندلسي منفي من الجنوب، حتى يمكن القول أن العدد يقترب من المليون بعد انتهاء الثورة الاندلسية الكبرى، وفي بلنسية بلغ عددهم تقريبا 380.000 حيث بلغ عدد الأسر أكثر من 76 ألف أسرة [79].

كما إن عدد كبير من الذين طردوا من غرناطة استقروا على نهر الوادي الكبير، وفي جيان وقرطبة، وكان الأندلسيون في عام 1610م يشكلون نسبة 10% من مجموع سكان جيان، وفي قرطبة كانت النسبة تفوق 10%، وفي اشبيلية كانت نسبة الأندلسيين 8%، لذلك أدى تنفيذ قرار الطرد سنة 1610م إلى إلحاق خسارة وتدهور اقتصادي شمل جميع النواحي الانتاجية لعدم وجود يد عاملة في القطاعات الاقتصادية كما هو الحال في بلنسية [80]، فقد كان الاندلسيون يمثلون قوة اقتصادية كبيرة في المجتمع ويبدو ذلك من خلال أعدادهم في كل مدينة .

كانت السلطات المسيحية تراقب تحركات الأندلسيين الذين كانوا موضع شك وريبة، خوفاً من الإعداد لثورة عندما تسمح الظروف بذلك، وبالفعل كان للأندلسيين تحركات من أجل التخلص من الرقابة الدينية، فضلاً عن إقامة قنوات تواصل فيما بينهم، لأن الأوامر الملكية تمنع تنقلهم بحرية بين أرجاء المملكة، وتمنع ممارسة مهنة النقل أيضاً، إلا إن أندلسيي قشتالة تمكنوا بفضل الازدهار الاقتصادي من ممارسة هذه المهنة بشكل سري من خلال إقامة شركات تجارية فيما بينهم أنتشرت في أنحاء المملكة، فسهلت تبادل المعلومات والرسائل بين الأندلسيين، وكذلك نقلهم إلى أماكن آمنة والهروب والاختفاء عن محاكم التفتيش التي تمكنت في أحيان كثيرة من اكتشاف شبكات التواصل من خلال نشر العملاء بين الأندلسيين، كما حدث سنة 1556م، إذ أكتشفت محاكم التفتيش شبكة الاتصالات بين أندلسيي قشتالة والجزائر والامبراطورية العثمانية [81] .

كما حظرت [1]السلطة القشتالية على الأندلسيين الوظائف العسكرية والحكومية والمدنية، واشترطت لمن يعمل فيها تقديم شهادة تثبت نقاء الدم من الدماء الأخرى كدماء اليهود والمسلمين، أو تقديم ما يثبت كونه من النصارى القدماء أو ينحدر منهم مباشرة، لذلك كان معظم الأندلسيين يعملون في المهن والحرف المختلفة، وكان بين الأندلسيين أثرياء من أصحاب معامل الحرير والسكر والصابون ومُلاك الكروم وحقول الرز ومن بينهم العمال الذين يعملون في المهن المختلفة من الكتابة والبيطرة والطبابة وغيرها، حتى أن الحاكم العام في طليطلة سنة 1607م تذمر بارتفاع عدد الأندلسيين الذين يدرسون الطب، وحذر من محاولتهم استعماله لقتل المسيحين[82] .

وفي غرناطة التي يعتمد اقتصادها على إنتاج الحرير والملابس الحريرية والزراعة والتجارة بالمواد الغذائية وغيرها من الصناعات والخدمات، فكان معظم الغرناطيين من التجار الصغار والحرفيين والمزارعين والعمال في المصانع والموانئ، ونقل البضائع وصناعة الملابس والأقمشة والحريرية [83]، فكانوا يملكون الأموال لأن الأعمال التي مارسوها كانت تدر الأموال بشكل مستمر، وكانوا يحرصون على حفظ أموالهم ذهباً أو أحجار كريمة، لسهولة الإخفاء والحمل، ويتجنبون شراء العقارات خوفاً من عقوبة المصادرة، وكانت السلطة الحاكمة تعرف مكانتهم الاقتصادية لذلك سعت بتأثير التطورات السياسية إلى محاربتهم اقتصادياً من خلال إصدار الأوامر الملكية، على سبيل المثال منعت السلطة القشتالية تصدير الحرير الغرناطي لدعم تلك الصناعة في مناطق أخرى من قشتالة، فأصاب الكساد صناعة الحرير في غرناطة، وفي عام 1562م فرضت ضرائب عالية على صناعة الحرير في غرناطة، فضلاً عن مصادرة الأراضي الأندلسية بتهمة الهرطقة أو بحجة ملكيتها للعرش، إذ قدرت مساحة الأرض التي أصبحت ملك للأمبراطور خمسة آلاف كيلو متر، مع الاستمرار في مطالبة الغرناطيين بدفع ما اتفقوا عليه مع كارلوس الخامس ثم فيليب الثاني، حتى قدر مجموع ما دفعوه من 1518-1568 نحو 621 مليون مرابطي، بما يعادل ثلاثة أرباع تكاليف الحرب ضد مملكة غرناطة، فلم تعد الأسر الغرناطية قادرة على تقديم خدمات الضيافة للجنود، ولم تعد قادرة على دفع الضرائب، ولم يعد الدخل الذي يحصل عليه الأندلسي يكفي لسد احتياجاته [84].

فسادت حالة من التذمر والإستياء من الضغوطات الاقتصادية التي تمارسه السلطة القشتالية ضدهم، فكانت سبباً في اندلاع الثورة الأندلسية

1

الكبرى، فبين عام 1550-1570 صادرت محاكم التفتيش ممتلكات 1400 أندلسي[2] في غرناطة، وفرضت الغرامات المالية على مجموعة كبيرة منهم وأصدرت أحكام السجن والحرق والعمل طول الحياة على القسم الآخر، فقد كان توجيه التهم كافي للحجز على أملاك وأموال المتهم، وحتى في حالة عدم إثبات التهم فإن ذلك لا يعني رفع الحجز عن الممتلكات [85].

ومع كل الصعوبات والضغوط الاقتصادية التي تمارس ضدهم، كان الأندلسيون يملكون المهارات والقدرة على العمل، لذلك كانوا يعودون إلى تحقيق مستوى معاشي مقبول في المناطق الفقيرة التي نفيوا إليها، وعملوا على إحياء الأراضي الزراعية التي أهملها القشتاليين، وتجاوزوا الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم، فقد اشتهروا بالقدرة على جمع المال والحرص وقلة الإنفاق، حتى أن السلطة بعد أن نفذت قرار النفي للأندلسيين من غرناطة بعد الثورة الأندلسية الكبرى وهددت بالقتل لكل من يعود اليها ، ترجعت عن القرار بعد عشر سنوات وسمحت لهم بالعودة لأنهم كانوا الخبازين والسقائين والقصابين ...الخ [86].

وكانت الأوضاع الاقتصادية للأندلسيين في بلنسية مستقرة، لأن أعداد كبيرة منهم تعمل في الأرياف كفلاحين وعنابين لحسابهم الخاص، أو عند النبلاء والكنيسة وأصحاب السلطة الذين كانوا المسيطرين على معظم الأراضي الزراعية هناك، فقد أعدت إحصائية في عهد فيليب الثاني أظهرت أن النبلاء والأديرة والأثرياء يملكون معظم الأراضي الزراعية، وقلة من الفلاحين يملكون أرض وكان عليهم دفع ضرائب مختلفة [87] .

كانت الظروف الاقتصادية للأندلسيين في غرناطة وأرغون أفضل من أوضاع اخوانهم في مناطق قشتالة القديمة، فقد عاش الأندلسيون في قشتالة الجديدة (مدريد وادي الحجارة وطليطلة وقونقة والمدينة الملكية) ظروفاً أصعب من أخوانهم فقد كانوا في إقامة شبه جبرية، وقد انضم إليهم الأندلسيون الذين صادرت محاكم التفتيش أملاكهم ودفعوا الغرامات المالية، ومن سلم من المصادرة اضطر إلى دفع الأموال الطائلة من أجل شراء حرياتهم النسبية، كما اصطدمت الحياة الاقتصادية للأندلسيين في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلاديين بالأزمة الاقتصادية الاسبانية، نتيجة السياسة الداخلية والخارجية التي اتبعها فيليب الثاني، فعلى الصعيد الداخلي أدت سياسته بعد القضاء على الثورة الأندلسية الكبرى إلى نفي الغرناطيين، مما أدى إلى إلحاق الضرر البالغ بالاقتصاد الغرناطي، كما ساهمت القيود التي فرضها على النبلاء

في زيادة شدة الأزمة الاقتصادية، فضلاً عن تدفق الفضة من العالم الجديد إلى اسبانيا، فأدى إلى ارتفاع الأسعار والتضخم، كما سجلت النفقات العسكرية زيادة مرعبة، فكان الحل زيادة الضرائب، فتعمقت الأزمة الاقتصادية، حتى أن فيليب الثاني أعلن الإفلاس [88].

وكان من الطبيعي أن تتأثر الحياة الاقتصادية للأندلسيين، فمع قدرتهم على العمل في كل مجالات الحياة الاقتصادية، وحرصهم على الإفادة من التجارة مع العالم الجديد، ولكن الكساد الاقتصادي وقلة الطلب على منتوجاتهم مع استمرار فرض العقوبات الاقتصادية عليهم من مصادرات وغرامات وضرائب، حتى أصبح معظم الاندلسيين يعيشون في المناطق الفقيرة من المدن الأرغونية والقشتالية مثل سرقسة وجيان وابلة وسيمانقة وطرطوشة ومرسية وطليطلة وبلد الوليد وغيرها من المدن، وكلما اشتدت الأوضاع الاقتصادية سوء برزت الاحقاد العرقية والدينية أكثر، لذلك يمكن وصف العلاقة بين الأندلسيين والقشتاليين في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلاديين بأنها علاقة توتر وريبة وشك ورغبة في الإبادة والاستئصال الكامل [89].

كان العامل الاقتصادي من الدوافع وراء المطالبة بطرد الأندلسيين، لأن القشتاليين كانوا يحسدونهم لحبهم العمل، فهم رغم كل القيود المفروضة عليهم تمكنوا من جمع المال، فبعد عشر سنوات من نفي الغرناطيين إلى قشتالة حيث وصلوا ولم يكن أحدهم يملك شيء، أصبحوا متنفذين وأغنياء، حتى خشي القشتاليين من أن يتمكنوا بعد 20 سنة من جعلهم يعملون لديهم [90].

فجاء قرار الطرد النهائي لهم ونفيهم عن الأندلس في عهد فيليب الثالث، ليؤكد أن الإنتعاش الاقتصادي الذي بفضله حققت اسبانيا إنجازاتها على الصعيد الداخلي والدولي، كان للأندلسيين الذين شكلوا عماد الإنتاج الاقتصادي لدولتهم التي سطع نجمها منذ سقوط غرناطة [91].

لقد أدى تنفيذ قرار الطرد النهائي لهم إلى انهيار الاقتصاد الزراعي في أكثر المناطق الزراعية خصوبة في الشمال الشرقي حيث أرغون، وفي الجنوب غرناطة، وكان الخاسر الأكبر هو اسبانيا التي خسرت قوتها الاقتصادية وغدت دولة مستوردة ومستهلكة بعد أن كانت منتجة ومصنعة.

وعندما خرج المنادون في صباح يوم الإثنين من شهر أيلول سنة 1609م وقرأوا المرسوم الملكي لتنفيذ قرر الطرد النهائي للأندلسيين، استنتجت السلطة والكنيسة أن لدى الأندلسيين قناعة بأنهم وصلوا مع القشتاليين إلى نهاية الطريق، حتى حاول بعض رجال الكنيسة والنبلاء إقناعهم بالبقاء وقبول التعميد، وأن المطلوب منهم التظاهر بالموافقة فقط، ثم العودة إلى دورهم وفعل

ما يحلو لهم، ولم يجد ذلك قبولاً عند الأندلسيين الذين رفضوا العمل في إدارة المعامل وزراعة الحقول، إلا إن السلطة وافقت على منحهم حقوقهم الدينية، إلا أن الملك رفض ذلك وأصر على التنفيذ، عندئذ رفض الأندلسيون العمل، وبدأو بالاستعداد للرحيل [92].

ولم تمنحهم السلطة الوقت الكافي لبيع أملاكهم الشخصية التي سمح لهم المرسوم ببيعها، وساد الكساد لكثرة البضائع، وهبطت الأسعار إلى 10 % من قيمتها، حتى إن العديد منهم لم يحصل على الثمن المطلوب منه لنفيه [93]. كما حصلت انتهاكات عديدة للمرسوم الذي سمح لهم بأخذ ممتلكاتهم المنقولة التي يمكن حملها على ظهورهم، إلا إن المركيز دي كرانثيا منعهم البيع وما تم بيعه قبل صدور المرسوم يعد غير قانوني، إلا أنه سمح بالبيع للنبلاء لتسديد ديون الأندلسيين . لذلك فضل بعض الأندلسيين الهروب إلى الجبال مع ممتلكاتهم وصكوكهم إلى حين توفر الفرصة المناسبة لهروبهم، بينما وفر النبلاء وأصحاب المصانع الحماية عن طريق إخفاء الذين كانوا يعملون عندهم، أما الآخرون فكان عليهم دفع عشرة ريالات ذهبية أجرة نقلهم، ثم عدل المرسوم وفرض عليهم دفع مبالغ إضافية، حيث يجب عليهم دفع ضريبة على ما أخذوه معهم، ثم عدل ليجبرهم على دفع نفقات مرافقيهم من الجنود والمسؤولين [94] .

لقد أفادة النبلاء ورجال السلطة والكنيسة من مرسوم الطرد النهائي للأندلسيين، فنهبوا أملاكهم وكبرت ثروتهم، ومنهم المركيز دي كرانثيا ودي ميخيا، وقدرت ثروة دوق ليرما من بيع بيوت الأندلسيين المنفيين حوالي خمسة ملايين ريال، وأصاب الحياة الاقتصادية التدهور نتيجة قلة اليد العاملة، لأن من بقي من الأندلسيين كان أقل من الاحتياج الفعلي على أرض الواقع، فحل الكساد وساءت أحوال النبلاء، وتراكمت عليهم الديون والضرائب، وفقدت الأملاك قيمتها، حتى اضطر النبلاء إلى النزول إلى العمل في الزراعة بأيديهم مثل دوق غندة وغيره [95] .

وزاد من سوء الأحوال الاقتصادية في اسبانيا بعد طرد الأندلسيين زيادة الانفاق العسكري والهجرة، كما فقدت اسبانيا أموال الضرائب التي تجمعها من الهولنديين، فضلاً عن رحيل عدد كبير من الاسبان إلى العالم الجديد، كما هاجر عدد كبير من الاسبان من الريف الى المدينة ، فتعمقت الأزمة الأقتصادية وكان من أبرز نتائجها أن غدت اسبانيا مستوردة للقمح [96].

فالمقارنة بين أحوال اسبانيا قبل وبعد طرد الأندلسيين شهادة ناطقة بدورهم الفعال في الحياة الاقتصادية، فبعد تنفيذ قرار الطرد والنفي للأندلسيين، أصاب الصناعات الدمار، ومنها صناعة الحرير والصوف، فأخذوا يصدرون المواد الخام إلى الدول الأوروبية مثل هولندا وفرنسا وانكلترا لتصنيعها، وفقدت

العديد من المدن مكانتها التجارية الصناعية مثل مدينة برغش المشهورة بتجارة الصوف القشتالي ومدينة شقوبية المشهورة بصنع الملابس الجميلة [97].

ويمكننا القول أن الأندلسيين الذين صاروا عبيداً وفق المراسيم الملكية السابقة، لم يسمح لهم بالخروج من اسبانيا، كما إن الكنيسة التي تسيطر على نسبة كبيرة من الأراضي الزراعية لن تسمح للمزارعين الأندلسيين الذين يعملون في أراضيها بالرحيل، لذلك لابد إنها قدمت لهم ما يمكن أن يقنعهم بالبقاء، وكذلك فعل النبلاء لضمان استمرار الانتاج في أراضيهم، كما إن السلطة سمحت لـ 7.000 أندلسي بالبقاء في بلنسية للقيام بالأعمال الزراعية [98]، إلا إنها نسبة ضئيلة لا تكفي الحاجة الفعلية، لذلك استمرت الحياة الاقتصادية بالتدهور، وكثرت الشكاوي، وهناك الكثير من رسائل المسؤولين التي وصفت سوء الأحوال الاقتصادية، ولم تستطيع اسبانيا استعادة شيء من قوتها الاقتصادية، إلا في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، بالاعتماد على علوم الأندلسيين والتقنية التي تركوها في الأرض، وأهمها توفير المياه وجلبها من الجبال بقنوات بناها العرب [99].

ولابد من الذكر أنه لم يكن من الصعب على الأندلسيين بعد تنفيذ قرار الطرد النهائي من العيش والتكيف في البلاد التي وصلوا إليها، فقد كانوا يتقنون المهن الزراعية والصناعية والحربية والتجارية والمالية والملاحية والمعمارية، لذلك كانت لهم مساهمة فعالة في الاقتصاد، وكانوا عامل للازدهار الاقتصادي والتطور العمراني والبشري للبلدان التي هاجروا اليها بعد الطرد من اسبانيا[100] .

وهكذا يبدو واضحاً كيف لعبت القوة الاقتصادية للأندلسيين دور في استمرار صمودهم، وفي مفاوضاتهم مع محاكم التفتيش، فكان الأندلسيون يطلبون تخفيف العقوبات مقابل عروض اقتصادية، فعلى سبيل المثال المفاوضات بين جماعات بلنسية وطليطلة وسكان غرناطة ومحاكم التفتيش لتغيير سياسية الملك كارلوس الخامس، ومفاوضات سكان بلنسية أثناء حرب غرناطة سنة 1571م [101].

ولكن لابد من الإشارة إلى أنه على الرغم من جهود الكنسية ومعظم القشتاليين في مراقبة الأندلسيين وأضطهادهم، كان البعض منهم يمكنه الإفادة من الفساد والفوضى والرشوة الموجود في كيان السلطة الحاكمة، فيمكنهم الحصول على الوثائق التي يريدونها إذا كان لديهم المال، فكانت حركة التهريب مستمرة لا يمكن السيطرة عليها، لأن جماعات من السلطة تستفيد من ذلك النشاط وتحمي أصحابه ـ فالغرناطيين لم يكن عبورهم إلى العدوة مستحيلاً، وكذلك الأندلسيين في قشتالة وأرغوان كان يمكنهم عبور الحدود إلى جنوب

فرنسا وإيطاليا ومنها الى المغرب، ما داموا قادرين على دفع ثمن الأوراق المزورة التي تسمح لهم بالعبور، فضلاً عن صعوبة حظر انتقال الأندلسيين بين غرناطة وارغوان وقشتالة، لأن الأندلسيين يعملون في النقل على البغال والعربات الصغيرة، لذلك يمكن القول أن هناك حركة هجرة إلى أرغون من وقت لآخر، وحسب الظروف المتاحة [102].ويبدو من تتابع الأحداث أن الصراع مع الأندلسيين كان صراعاً دينياً، ولكنه كان يحمل جانب اقتصادي يصب في تبعيته للصراع الديني ويغذيه، لأنه كان في أحد أوجهه صراعاً على الأرض، والخوف من أن يتمكن الأندلسيون من استرداد البلاد مرة أخرى بفعل قوتهم الاقتصادية .

الهوامش

[1]- J. Massip , Los Moriscos del Territorio de Tortosa , in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan , 1993, part 2, p.24 9.

[2]- Luis del mármol Carvajal, Rebelion y castigo de los moriscos, editorial arguval, malaga, 2004 , p.21-24.

[3]- Angel Galan Sanchez , Una sociedad en Transicion Los granadinos de mudéjares a moriscos ,Granada, 2010 , p. 56; عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، ص 32؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي، بحث منشور في: سلمى الخضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1999، ج1، ص 318.

[4] - عادات طرطوزا (costums de Tortosa) ، وهو نص قانوني منذ القرن XIII . ينظر : J. Massip , op.cit, 2/249.

[5]- ميلودة الحسناوي، الموريسكيون في الفكر التاريخي قراءة في الأبحاث والدراسات الموريسكية الإسبانية، في: الموريسكيون في المغرب، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية 22-24 جمادى الثاني 21-23 شتنبر، شفشاون ، 2000، ص 146-147.

[6]- Jose Maria Perceval, Animalitos del Senor Aproximacion a una teoria de las animalizaciones prepias y del otro sea enemigo o siervo en la Espana imperial 1523-1609, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol. 2, p .252.

[7] - Vin cent Barletta, covert gestures , London, N.D., p. 2-29.
عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 298 .

[8] - ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي ، 318/1.

[9] - ذكر ليونارد باتريك هارفي أن المصطلح بدأ في بداية القرن السادس عشر ينظر: تاريخ الموريسكيين، 343/1 ؛ بينما ذكر عادل سعيد بشتاوي أنه استعمل في الخمسينيات من القرن السادس عشر ينظر: الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص 33.

[10] - عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 33 .

[11] - ينظر :- ليونارد باتريك هارفي ، تاريخ الموريسكيين، 1/ 318-320 .

[12] - محمد حجي ، الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير، في: الموريسكيون في المغرب ، منشور أكاديمية المملكة المغربية الندوة الثانية 22-24 جمادى الثاني 21-23 شتنبر، شفشاون ، 2000، ص ص 59-60 .

[13] - ينظرعن أحوال الأندلس قبل انتهاء الحكم الإسلامي سنة 1492م :
Emilio Gonzalez Ferrin, Historia General de al-andalus, Segunda Edicion, Almuzara, 2007, pp.339-424; David Levering Lewis, God's Crucible Islam and Making of Europe 570-1215, w.w.norton , New York- London, N.D., p. 85, p.184; Rachel Arie , p. 13-31; L.p. Espana Musulmana siglos v111-xv, Barcelona,1993, Harvey, Muslims in Spain1500-1614, university of chicogo press, Chicago- London, 2005, p. 2-44.
حمد بن صالح السحباني ، أثر الضعف الخلقي في عصر ملوك الطوائف ، منشور في: عبد الجليل التميمي ، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان ، 1993، 2/ 262-262 .

[14] - Abdal Halim uwes , La Rivalidad Material y la Derrota de Al- andalus, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan , 1993, vol 2, p. 220 ; Saher Abdel Aziz Salm, The relation between mamluk Egypt and Granada

i, Le Ve centenaire de las .befor and aftar its fall. in : Abdeljelil Temim chute de Granade 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol.2, p83;

ينظر: المقري، شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ) . أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة ، 1942م،1/67- 68 ؛ المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 1041هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطبيب، د.م ، د.ت، ج6، ص 280 .

[15]- Cheikha Djamaa, La chute de Granade atravers la poesie andalouse, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol.2 , p. 123;

ينظر :- المقري ، نفح الطيب ، 4/ 548؛ المقري ، ازهار الرياض ، 1/ 103 .

[16] - المقري ، نفح الطيب ، 4/ 252-256 .

[17] - عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص 125 .

[18]- op.cit, p.224 David Levering Lewis ,

[19] - محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1997، ص 250- 251 .

[20]- Aoureddine Sgair, con science Historique et Psycho collective a traves de la Literatura Aljamiada, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol.2 , p. 141.

[21]- Cheikha Djamaa , op.cit, 2/130- 131;

ينظر كذلك :- حسين مؤنس، رحلة الاندلس حديث الفردوس الموعود، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963، ص 8.

[22]- Saher Abdel Aziz Salm, op.cit, 2/ 111-123;

ينظر كذلك: محمد عبده حتاملة، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين، عمان، 1980، ص 62 وما بعدها ؛ جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، مجلة المؤرخ المصري، العددان 5و6 ، يناير – يوليو ، 1990م ، ص14 وما بعدها .

[23]- يقصد بالجهاد البحري الإسلامي العمليات التي قام بها المسلمون في البحر المتوسط ضد السفن الاسبانية والبرتغالية وغيرها من الدول الأوروبية والتي جاءت بدايته رداً على الاعتداءات المسيحية على المسلمين في الأندلس. ينظر:- محمد رزق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17 الميلادي، الدار البيضاء، 1989، ص 210- 221؛ محمد حجي ، الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير ، ص 66 ؛

Raafat Al – seikh, connection between the end of Muslim in the Mideterrnean sea, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol.2, p. 174.

[24]- Bernard Leblon, Quelques reactions espagnoles après L´EXPULSION DES Morisques paralleles avec l´ expulsion avortee des gitans, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol.1 , p.417; Guillermo Gozalbes Busto, Aspectos Sociales Politicos y Econmicos de los Moriscos en Marruecos, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan , 1993, vol.1 , p.307.

[25]- Belkacem Drardja, Los Musulmanes Andalusies Los comites de Inquisiciones y Las Sabios de AL Magrib Hacia Los AndalusIes que quedaron en Las Tierras Ocupadas, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol 7.p,62;

ينظر كذلك :- لوي كارديلك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية 1492-1640 مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين في أمريكا، ترجمة عبد الجليل التميمي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، تونس، 1983، ص 72؛ حمادي عبد الله ، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، تونس – الجزائر ، 1989، ص ص 123-125.

[26] - عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص ص127 -131 .

[27]- Belkacem Drardja, op.cit, 2/76 ;

ينظر كذلك : لوي كارديلك، الموريسكسون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية ، ص ص 140-147؛ حمادي عبد الله ، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، ص34.

[28]- David Levering Lewis, op.cit, p.333.

[29]/ Saher Abdel Aziz Salm, op.cit, 2/111-123.

ينظر : محمد عبده حتاملة، التنصير القسري، ص 62 وما بعدها ؛ جمال عبد الكريم ، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم ، ص 14 وما بعدها .

[30]- Angel Galan Sanchez , op.cit , p.220-222.

[31]- Mercedes Garcia Arenal y Fernado Rodriguez Mediano, Un Oriente Espnol los moriscos y el sacromonte en tiempos de contrarre forma, Marcial Pons Histroria, 2010, p76-79.

[32] - أمر خيمينس ببناء جامعة في منطقة القلعة ، وفتحت أمام الطلبة عام 1508 ، وفيها تمت ترجمة الإنجيل إلى اللاتينية واليونانية والعبرية والكلدانية، وفي سنة 1837 نقلت إلى مدريد. ينظر :- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، هامش ص 134 .

[33]- Mercedes Garcia Arenal op.cit, p.57.

[34]- Belkacem Drardja, op.cit, 2/76.

ينظر :- لوي كارديالك، الموريسكسون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية، ص ص 140-147؛ حمادي عبد الله ، الموريسكيون وحاكم التفتيش في الأندلس، ص34 .

[35]- Angel Galan Sanchez , op.cit , p. 48-49.

[36]- Belkacem Drardja, op.cit, 2/69- 70

[37] - عادل ، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 138 .

[38]- Belkacem Drardja, op.cit, 2/7.

[39] - كانت الفتوى التي أصدرها الونشريشي تنص على أن أنه كلما أحتل العدو أرض إسلامية وجب على أهلها الخروج منها ، ينظر : الونشريشي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص ص138-139 ؛ محمد رزق ، الأندلسيون وهجراتهم ، ص ص148-149 .

[40] - الوهراني : محمد بن أحمد بن جمعة المغراوي الوهراني . محمد رزق، الاندلسيون وهجراتهم، ص150 ؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين ،327/1 .

[41]- Belkacem Drardja, op.cit, 7/752- .

[42]- Abdel latif Mohammed M. seery, La Identidad Arabo Islámica de los Moriscos A Traves de la literatura Aljamiada, Publicado, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Angel Galan Granade 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol. 2, p. 152; Sanchez, op.cit, p.212; Mercedes Garcia Arenal op.cit, p.61.

[43]- Luis de mármol carvajal, Historia de rebelión y castigo de ،ios moriscos del Reino de Granada 1876 Madrid, Mercedes 1982, P .239- 240 . , p. 123; Mercedes Garcia Arenal, op.cit, p.61.

[44]- Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/154.

[45] - miguel Angel de Bunes, los moriscos en el pensamiento histórico, Madrid, 1983, p.36; Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/154 .

[46] - Mercedes Sanchez Alvarez , El manscrito misceláneo 774 de ta biblioteca national de Paris, Madrid, 1982, P .239- 240 .

[47]- Ibid, 2/160.

[48]- Ibid, 2/162-163 .

[49] - ليونارد باتريك هارفي ، تاريخ الموريسكيين ،1/ 337.

[50] - البلوي ، أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي (ت بعد 767هـ)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، المحمدية، المغرب، ص95 ؛ عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة ، 302 .

[51]- Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/165.

[52]- Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/156-157 ; صلاح فضل، ملحمة المغازي الموريسكية، القاهرة، 1989، ص 25.

[53]- Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/158; Vin cent Barletta, op.cit, p.2-29

[54]- Abdel latif Mohammed M. seery, op.cit, 2/158.

[55]- Belkacem Drardja, op.cit, 72/7.

[56]- Angel Galan Sanchez, op.cit, p.206.

[57] - عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 29 ،302.

[58] - Rajaa Yassine Bahri, El Proceso de Diego de Arcos y La Resistencia de Las Aljamas contra La Inquisicion, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granade 1492- 1992, Zaghouan, 1993, Zaghouan, 1993, vol.2, p. 235 .

[59]- J. Massip, op.cit, 2 /248

[60]- Fatima Rachidi, L in terpretation de Islam par Les chretiens:une method denseigner La doctrine catholique aux Moriscos, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol2, p.253-254

[61]- Ibid,2/253

[62]- الحسن السائح ، إشعاع الموريسكيين في المغرب الأقصى، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1993، ج2 ، ص 259.

[63]- لوي كارديلك، الموريسكيون والأندلسيون والمسيحيون، ص 64 ؛ عبد الرحمن الحجي ، محاكم التفتيش الإسبانية وسراديب الموت، مجلة المناهل، العدد31، السنة 1984، ص ص 415-419 .

[64]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 22- 23، ص178- 189؛ لوي كارديلك، الموريسكيون والأندلسيون والمسيحيون، ص 31 .

[65]- Luis del mármol Carvajal, op.cit, p.50-60.

[66]- Mercedes Garcia Arenal op.cit, p.57-61;

إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية، في: ماء العينين ماء العينين العتيق، اللغة العربية في اسبانيا، الرياض، 2015، ص 68-69.

[67] - عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 303.

[68]- Luis del mármol Carvajal, op.cit, p.26-29; Francisco J, Moreno diaz, LOS moriscos de la mancha sociedad economía y modos de vida de una minoría en la castilla moderna, Madrid, 2009, p.7-10.

[69] - إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية، ص 68-69 ؛ عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 78-80 ؛ ليونارد باتريك هارفي ، تاريخ الموريسكيين، 1/ 339- 340

[70] - إغناثيون فيراندو فروتوس، التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية،ص68-69 .

[71] - عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 138- 139؛

1,147,155.13Angel Galan Sanchez, op.cit, p.

[72]- Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p. 25-40

[73]- Angel Galan Sanchez, op.cit, p. 229-254.

[74]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص 150 ، 252 - 254 . ينظر كذلك :-

Liorente Juan Antonio op.cit,vol.1, p. 240-250; Rule William Harris, History of the Inquisition, London, 1962, p. 46 .

[75]- Angel Galan Sanchez, op.cit, p. 229-254.

[76]- 226-254. Ibid, p.

[77]- Luis del mármol Carvajal, op.cit, p.235-250

[78]- Angel Galan Sanchez, op.cit, p.229-261.

[79]- Francisco J, op.cit, p. 75-121.

[80]- Juan Aranda Doncel, las consecuencias de la expulsion de los Moriscos en la Andalucia del Guadalquivir, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol. 2, p. 234.

[81]- Serafin de Tapia Sanchez, Las Redes Comercialas de los Moriscos de castill le vieja : un Vechiculo para sus complicidades, in: Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492-1992, Zaghouan, 1993, vol. 2, p. 255-256.

[82]- Janer, Florencio, condicion social de Los moriscos de Espana causa de su expulsión y consecu rencias que esta produjo en el orden económico y político, Madrid, 1957, p. 270.

[83]- Francisco J, op.cit, p. 234-250.

[84]- Angel Galan Sanchez, op.cit, p.201-212; Luis del mármol Carvajal, op.cit, p.33-37.

[85]- Angel Galan Sanchez, op.cit, p.206; Luis del mármol Carvajal, op.cit, p.145-160.

[86] - عادل سعيد بشتاوي ، الأمة الأندلسية الشهيدة ، ص 291 ؛ عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، مطابع أنترناشيونال القاهرة ، 1983، ص144.

[87] - ليونارد باتريك هارفي ، تاريخ الموريسكيين ،1/ 340.

[88]- Luis del mármol Carvajal, op.cit, p.146-160.

[89]- Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p. 362-379.

[90]- Angel Galan Sanchez, op.cit, p- 131- 254.

[91]- Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p. 391-392.

[92] - عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 315 .

[93]- Bendicho, cronica del Alicante, Edicion y notas de F.Figueras, Alicante, 1960, p. 202.

[94]- Francisco J, Moreno diaz, op.cit, p. 425-437.

[95]- Janer, Florencio, op.cit, p. 272.

[96]- Defourneaux, Marcelin, Daily life in Spain in the Golden Age, London, 1970, p20-21.

[97]- Defourneaux, Marcelin, op.cit, p20-21 ; Rachel Arie op.cit, p.210-250.

[98]- Defourneaux, Marcelin, op.cit, p.83.

[99] - عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص ص329-330، 352 .

[100]- R.G. Land, Le destin des Morisques dans Ie monde Arabo - Musulman, in : Abdeljelil Temimi, Le Ve centenaire de las chute de Granada 1492- 1992, Zaghouan, 1993, vol .2, p .241;

ينظر :- ناصر الدين سيعدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات التاريخية، دمشق، العدد الخامس، السنة 1981م، ص ص 56-76؛ ليونارد باتريك هارفي، تاريخ الموريسكيين،1/352-353 .

[101] - رافائيل بنتاز سانساش بلانكو، المفاوضات بين محاكم التفتيش والجماعات الإسلامية،، منشور في: عبد الجليل التميمي ، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان ، 1993، 2/ 267 .

[102]- عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص 22 ، 179

The General Conditions of the Andalusians in Granada in Post Arab-Islamic Rule : Historical Study

Prof.phd. Wijdan Fareeq Enad
Center of revival heritage
Baghdad university

Abstract

The harsh human suffering experienced by the Andalusians were a religious conflict and racist impact on all aspects of public life. The religious factor most important factors that determined the nature of the hostile relationship between the Andalusian and Castilian, Castile has sought to make them Christians by force through laws that deprived them of all their rights. In spite of the large number of those laws, the authority admitted inability to subdue the Andalusians to its will through the issuance of the final decree of expulsion.

Discuss Search: Naming Andalusians Balmaurickyin, the Treaty on the surrender of Granada, and public life of the Andalusians after the fall of Granada, through the study of religious life, economic, social, cultural, and political.